فى بلاد اليمن

يعرف الناس عن بلاد العرب أنها بلاد صحراوية جافة ، يندر بها المطر ولا ينتظم سقوطه ، وتقل فيها النباتات، ويصعب استنباتها إلا حول العيون والآبار ، ويشتغل أهلها بالرعى والانتقال وراء الابل والأنعام ، سعياً إلى مواطن الكلأ والمرعى ، ويعمل فريق منهم فى النقل التجارى على طرق القوافل ، حيث تتباعد المسافات ، ويشق السفر والانتقال إلا على الجمال وحداتها من رجال البادية الأشداء . والصورة العامة التى تحضر الذهن عندما نسمع اسم الجزيرة العربية أنها بيداء شاسعة ، تنتشر مواطن الكلأ فى بطون أوديتها القليلة ، ولا تثمر تربتها الرملية غير النخيل وقليل من الحب أو الثمر ، ويعيش أهلها عيشة البدو والأعراب ، فى بيوت من الشعر أعدت لينتقل بها أصحابها خفيفة فوق ظهور الجمال ، ولا تستقر الحياة فيها ولا تتركز إلا فى واحات قليلة هنا وهناك .

ولكن الذى يدرس الجزيرة العربية يجد أن هذه الصورة لا تصدق إلا على مناطق معينة من تلك البلاد الشاسعة . وهى تصدق بصفة خاصة على المناطق الداخلية والوسطى من شبه الجزيرة . أما فى الشمال فهناك ما يعرف بالهلال الخصيب ، وقد اشتهر بأنه موطن المدنية المستقرة منذ أقدم العصور ، ويشمل بلاد العراق والشام بمعناهما الأوسع . وأما فى الجنوب فهناك عمان وحضرموت واليمن ، وكلها من مواطن المدنية والاستقرار القديم . واليمن وحياة أهلها هى موضوع هذا المقال .

ولا بد لنا إن نحن أردنا أن نتفهم الحياة فى بلاد اليمن من أن نتعرف شيئا عن ظروفها الجغرافية العامة . فالبيئة الجغرافية كما نعرف هى مسرح النشاط البشرى . وكثيراً ما تتكيف حياة الناس وأعمالهم بظروف هذا المسرح الطبيعى . ولذلك وجب علينا أن نشير إلى عوامل البيئة الأساسية التى

أثرت ، ولا تزال تؤثر فى حياة الناس وتاريخهم فى ذلك الركن من الجزيرة العربية .

وتختلف بلاد اليمن عن بقية البلاد العربية بأمور أساسية . أولها أنها هضبة عالية تسببت فى الأصل عن انكسار البحر الأحمر وارتفاع حافتيه فى بلاد العرب من جهة ، وفى الحبشة وشرق إفريقية من جهة أخرى . وكان الارتفاع ظاهراً فى بلاد اليمن بصفة خاصة ؛ لأن السطح أضيفت إليه طبقات من اللافا والتكوينات البركانية ، التى زادت من سمك الطبقات وارتفاعها . ويتراوح متوسط ارتفاع هضبة اليمن العليا بين ١٥٠٠ — ٢٠٠٠ متر ، وإن كانت بعض جهاتها ، كمنطقة جبل النبى شعيب الواقعة إلى الغرب من صنعاء ، تزيد على ٣٥٠٠ متر ؛ وربما كان هذا الجبل أعلى القمم فى بلاد العرب كلها ما عدا بعض الجبال غير المعروفة فى بلاد عسير . وقد ترتب على ارتفاع بلاد اليمن أن امتازت بمناخها المعتدل ، رغم أنها تقع فى منطقة حارة . فضلا عن أن هذا الارتفاع أدى إلى ازدياد الأمطار الموسمية الصيفية ، التى تزيد فى بعض جهات الهضبة ، لا سيما ركنها الجنوبى الغربى ، على أكثر من ٥٠ سنتيمتراً فى العام ، ولا تقل على الجملة فى مختلف جهات الهضبة العليا عن ٤٠ سنتيمتراً ؛ وهو قدر يوازى عشر أمثال متوسط الأمطار فى الجهات الصحراوية الحارة من شبه الجزيرة ؛ بل هو قدر يكفى لنمو النباتات والأشجار التى تكسو معظم الهضبة ، ما عدا أطرافها الشرقية الداخلية ، حيث يقل المطر ، وما عدا منطقة تهامة ، وهى سهل ساحلى ضيق يمتد على طول شاطئ البحر الأحمر ، ويختلف فى مظهره الطبيعى وحياة سكانه عن الهضبة اليمنية بالمعنى الصحيح .

وهناك عامل جغرافى آخر ميز اليمن من غيرها من جهات الجزيرة العربية ، وذلك أن معظم صخورها من المواد البركانية التى تسربت من باطن الأرض فى شقوق عدة حتى بلغت السطح فغطته بطبقات سميكة مما يسميه الجيولوجيون باللافا الغطائية ؛ أو التى ظهرت فى هيئة براكين مخروطية الشكل تكونت فى آخر الأعصر الجيولوجية ، ولم يزل بعضها ثائراً مضطربا حتى خلال العصر التاريخى . ولقد تفتت هذه المواد البركانية بفعل العوامل الجوية والأمطار ، فكونت تربة صالحة للزرع والانبات ، بل صالحة للاحتفاظ بالرطوبة وتغذية

النبات بها ، حتى بعد أن ينقضى موسم المطر . وتلك التربة الغنية تشبه التربة التى توجد فى الجهات المقابلة من الهضبة الحبشية ؛ بل تشبه إلى حد ما التربة الغنية التى يجلبها النيل إلى مصر ؛ وفى ذلك يمتاز اليمن من معظم البلاد العربية ، حيث تسود التربة الرملية أو الجيرية أو التربة المتبلورة الجرداء ، ما عدا مناطق قليلة هنا وهناك .

فخصب اليمن وإيناعه وغناه بالنبات والخضرة والخيرات الزراعية يرجع إلى ارتفاعه وكثرة أمطاره وتربته الصالحة . وتلك كلها قد جعلت منه « بلاد العرب السعيدة » كما كان يسميه قدماء الكتاب من الجغرافيين فى عهد الرومان . ولقد ساعد على تميزه بصفة خاصة سقوط أمطاره فى الصيف أى فى الفصل الذى يشتد فيه القيظ وتقسو الطبيعة على ما قد يكون بالأرض من نبات ، فيأتى المطر ليسعف النبات بالماء فى الوقت المناسب ؛ وذلك بخلاف الحال فى شمال بلاد العرب مثلا حيث تسقط الأمطار فى أشهر الشتاء ، ويمتاز الصيف بارتفاع الحرارة واشتداد الجفاف فى آن واحد . فضلا عن أن التربة فى بلاد اليمن كانت كما ذكرنا من النوع الذى يحتفظ بالرطوبة ، ويختزنها بين ذراته من فصل إلى فصل . ولذلك لم يكن غريباً أن يمتاز هذا الركن المطير الخصيب من الجزيرة العربية بأنه كان موطن حياة زراعية مستقرة منذ أقدم العصور ، تختلف عن تلك الحياة الرعوية المتنقلة ، والتى عرفت عن معظم أنحاء الجزيرة العربية . بل لم يكن غريباً أن يصبح اليمن موطناً للحضارات والمدنيات القديمة والمستقرة ؛ والتى عرفت منها حتى الآن الحضارات المعينية والسبئية والحميرية . وقد استمرت كلها خلال ما يقرب من ألف وخمسمائة سنة قبل أن يظهر الاسلام ؛ كما بقى اليمن خلال العهد الاسلامى موطنا لحياة متقدمة ، ومدنية لا تقل عما نعرفه من بقية العالم الاسلامى العربى الشمالى . وتابع اليمنيون حياتهم ونشاطهم فى استغلال بيئتهم وتربة أراضيهم ؛ فاستقروا على سفوح الجبال ، وانشأوا على منحدراتها مدرجات منتظمة تحفظ التربة وتمنع الأمطار من أن تجرفها فى انحدارها إلى الأودية ، وغرسوا أشجار البن والفاكهة ونباتات الحبوب المختلفة التى أهمها القمح والشعير والذرة ؛ وارتبطت حياتهم بالأرض ارتباطا قويا ، واستقرت كل قبيلة من قبائلهم فى بقعة من الأرض تفلح تربتها وتستمسك بها وتتخذها موطنا ومستقرا . وبذلك كله

امتازت حياة اليمنيين على مدى العصور بأنها كانت حياة مستوطنة مستقرة متمدنة ، بل كانت حياة قرى وحضر أكثر مما هى حياة رعى وتنقل .

وكان هناك عامل جغرافى آخر ميز الحياة فى بلاد اليمن ؛ ذلك هو موقعها الجغرافى فى ركن من الجزيرة العربية ، تحيط به الصحارى والمناطق الجافة الوعرة فى الشرق ، أى فى اتجاه صحراء الربع الخالى حيث الرمال والكثبان والأرض الملحية الجرداء ؛ وفى الشمال أى فى اتجاه بلاد عسير والحجاز حيث تسود الصخور البلورية القديمة وتقل الأمطار كلما اتجهنا بعيداً عن الركن اليمنى . ولقد ساعد موقع بلاد اليمن واختلافها عما جاورها من أرض الجزيرة على أن تحتفظ تلك البلاد بطابع وكيان خاص . فضلا عن أن وقوعها فى أقصى الجنوب الغربى ، وفى مواجهة بلاد الحبشة وشرق إفريقية قد وجهها توجيهاً خاصا ، فاتصلت حياتها بالبحر الأحمر وتجارته منذ أقدم العصور . وكانت تؤلف جزءاً نسميه بلاد بونت ، وهى البلاد القديمة التى اتصل بها قدماء المصريين والتى يرى الباحثون أنها تشمل إلى جانب بلاد اليمن بلاد الحبشة والصومال . ولقد توثقت الصلات القديمة بين اليمن وشواطئ أرتريا والحبشة . والثابت الآن أن كثيراً من عناصر اليمن القديمة قد هاجرت إلى شرق أفريقية واستقرت هناك ؛ وأن الساميين القدماء إنما هاجروا إلى الحبشة وسكنوها عن طريق بلاد اليمن وباب المندب ؛ وأن بعض ملوك اليمن الأقدمين لاسيما فى العهد الحميرى قد وسعوا ملكهم فى الشواطئ الافريقية المقابلة ؛ كما أن الأحباش بعد ذلك غزوا اليمن واستقروا حيناً قبل أن يظهر الاسلام . ولا تزال صلات التجارة والثقافة والمهاجرة قوية بين الشواطئ اليمنية والافريقية على جانبى البحر الأحمر وخليج عدن .

كذلك تمثلت قيمة الموقع الجغرافى لبلاد اليمن فى أنها كانت تشرف على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، وعلى الصلات البحرية التى تربط بين أهل الشمال والبحر الأبيض المتوسط والمناطق المعتدلة من جهة ، وأهل البحر الأحمر وبحر العرب وما يليهما من المحيط الهندى والمناطق الحارة من جهة أخرى . وكان ذلك الموقع مصدر خير لليمن وموانيه القديمة فى الأعصر التى كان اليمن فيها قويا ، فخرج ملاحوه إلى البحار ونقلوا المتاجر بين الشرق والغرب ، وأفاد اليمن من ذلك إلى حد كبير ، كما حدث فى أواخر العهد الاغريقى الرومانى ، وفى

بعض أدوار العهد الاسلامى . ولكن هذا الموقع نفسه كان مصدر بلاء فى أعصر ضعف اليمن ، عند ما طمع العالم الخارجى فيه أو فى بعض موانيه على الأقل . ولقد حاول الرومان أنفسهم أن يغزوا قلب اليمن ؛ ولكنها كانت غزوة قصيرة محدودة النجاح . كما طمع الغزاة فى بعض الموانى والنقط الساحلية فى الأعصر القديمة والحديثة على حد سواء . وكان آخر الأمثلة استقرار البريطانيين فى عدن؛ لأنها تقع على طريق الهند وتصلح قاعدة للأسطول فى تحكمه وحمايته لطرق التجارة مع الهند من جهة ، ومع شرق إفريقية من جهة أخرى . كذلك طمع البريطانيون واستقروا فى بعض الجزر الهامة التى تواجه سواحل اليمن وأهمها جزيرة بريم . كما طمع الفرنسيون فى نقطة الشيخ سعيد الواقعة فى ركن باب المندب اليمنى بالذات .

إلى هذه العوامل الجعرافية المختلفة ، والتى لم يكن الموقع الجغرافى إلا واحداً منها ، نستطيع أن نرجع ما امتازت به بلاد اليمن من بقية الأقطار العربية من أنها لم تكن صحراء ولا منطقة بدو ورعاة ؛ وإنما كانت هضبة عالية ، غزيرة الأمطار السيفية غنية التربة ، مكسوة بالنباتات الطبيعية ، يعيش أهلها عيشة الاستقرار يفلحون الأرض وينشئون المدنيات العريقة المستقرة ، ويشرفون من هضبتهم وموانيهم على طرق النقل والتجارة ، ويهاجر ملاحوهم بعيداً عن بلادهم ، ينقلون معهم ثقلتهم السامية أول الأمر ، ثم ثقافتهم العربية الاسلامية بعد ذلك ، إلى بلاد نائية بعيدة فى الشرق الآسيوى الأقصى أو فى شرق افريقية .

على أن هذه العوامل الجغرافية قد ميزت بلاد اليمن من ناحية أخرى ؛ فأعطتها طابعاً خاصا من الحياة ، يختلف عما نراه فى بقية أرض الجزيرة ؛ بل أضفت عليها شخصية إقليمية متميزة ، تمثلت على الخصوص فى ميدان الثقافة . وهى الشخصية التى احتفظ بها اليمن حتى بعد أن دخل إليه الاسلام ، وبعد أن صار للجزيرة العربية كلها دين واحد ولغة واحدة وثقافة موحدة إلى حد كبير . وليس من شك الآن فى أن اليمن قد استطاع بموارده العظيمة وتراثه العريق فى الثقافة أن يؤثر فى بناء الثقافة الاسلامية نفسها قبيل ظهور الاسلام وبعده . ولكن اليمن وقد أعطى بلاد العرب ما أعطى من ألوان الثقافة قبل أن يظهر الاسلام ، أبى فى العهد الاسلامى إلا أن يحتفظ بحياته الخاصة ، وشخصيته التى كانت فى واقع الأمر مشتقة من بيئته الجغرافية المميزة ، ومدنيته التى ارتبطت منذ أقدم العصور بتلك البيئة . ولذلك فان اليمن لم يلبث أن أصبح قاعدة لجماعة الزيديين ومذهبهم الذى اشتق فى الأصل من المذهب الشيعى ، ولكنه سرعان ما اتخذ صبغته الاقليمية الظاهرة ، فأصبح يميز حياة اليمنيين ومذهبهم فى الدين والسياسة حتى يومنا الحاضر .

ولقد نشأ المذهب الزيدى أول ما نشأ فى أوائل القرن الثانى للهجرة ، أى فى أيام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ فأسس مذهبه الذى ينتسب إليه أتباعه الزيديون حتى الآن . وقد توفى فى عام ١٢٢ الهجرى وخلفه ، مع فترات انقطاع ، عدد متلاحق فى الأئمة من أهل الشيعة والزيود من سلالة على رضى الله عنه . واختار أغلب هؤلاء الأئمة بلاد

اليمن مقاماً لهم حتى تركز المذهب وأتباعه فى بلاد اليمن ، واقتصر عليها بالتدريج ؛ وأصبح الزيود فى الهضبة اليمنية يختارون إمامهم ويبايعونه ، كما تقضى به الشريعة الاسلامية ، وكما جرى عليه العمل فى عهد الخلفاء الراشدين؛ ويركزون فى يديه السلطتين الروحية والمدنية . ولا يزال العمل جارياً على هذا التقليد فى بلاد اليمن حتى الآن .

وقد انتشر المذهب الزيدى فى بلاد اليمن ، لا سيما المناطق الجبلية العالية منها . ويتبعه الآن أكثر من مليونين ونصف مليون من سكان اليمن الذين يبلغون حوالى ثلاثة ملايين . ويتركز الزيود وتشتد عصبيتهم لمذهبهم فى الجهات الجبلية ، لا سيما فى شمال اليمن وقلبه . ولكن الزيود أقل تركزاً وأقل استمساكاً بمذهبهم كلما اتجهنا نحو الشرق أو الغرب أو الجنوب . ويتبع باقى سكان اليمن ، ويقدرون بنحو نصف مليون أو أقل ، المذاهب السنية ، وأهمها مذهب الامام الشافعى ، الذى ينتشر على الخصوص فى منطقة تهامة المنخفضة ، التى تقع على ساحل البحر الأحمر بما فيه ميناء الحديدة ؛ كما يوجد أيضاً فى بعض أطراف اليمن الجنوبية الشرقية .

على أن الشئ المهم والطريف أن اختلاف الهضبة اليمنية وتميزها من بقية الجزيرة العربية فى الحياة والفكر والثقافة والدين كان فيما يبدو صورة منعكسة من تميزها واختلافها من الناحية الجغرافية الطبيعية ؛ ذلك الاختلاف الذى امتدت آثاره وبرزت نتائجه واضحة جلية فى حياة اليمن فى العهد الحديث . فلقد امتد سلطان الخلافة العثمانية إلى الشرق العربى كله ؛ ولكنه كان فى اليمن ضعيفاً متضائلا ، رغم ما امتازت به تلك البلاد من غنى وثروة وجودة فى الطبيعة والمناخ . ولقد بقيت سلطة الخلافة العثمانية اسمية على اليمن ؛ وكان ذلك بالطبع راجعاً إلى بعد تلك البلاد وصعوبة الوصول إليها عن طريق الحجاز البرى الشاق ، أو عن طريق البحر الأحمر الذى لا تملك تركيا القوة البحرية للاشراف عليه ؛ ولكنه كان راجعاً أيضاً إلى نفور أهل اليمن وهضبته من نظام الخلافة السنى ، واستمساكهم بنظامهم الزيدى بل تعصبهم له . وقد احتفظ أهل اليمن خلال العهد التركى بامامهم الخاص ؛ وإن كان نفوذه لم يتعد الناحية الروحية ، وبعض شؤون الدنيا فى جهات خاصة ومحدودة فى هضبة اليمن . وقصة كفاح الامام الراحل المغفور له يحيى بن حميد الدين هى صورة مصغرة

من كفاح اليمن ليحتفظ بكيانه وشخصيته المميزة ؛ بل ليحتفظ باستقلاله وليسير على طريقته الخاصة مهما اختلف فى ذلك عن بقية أجزاء العالم العربى وأقطاره . وقد ولد رحمه الله فى صنعاء سنة ١٢٨٦ هجرية أى منذ واحد وثمانين عاماً هجريا ؛ وأخذ فنون العلم والدين بتلك المدينة حتى اضطر أن يهجرها مع والده الامام المنصور بالله محمد بن يحيى فى سنة ١٣٠٧ هجرية . ولما توفى المنصور بالله فى سنة ١٣٢٢ هجرية بايع العلماء الامام يحيى ، واتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين الامام المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن حميد الدين .

وكانت مبايعة الامام يحيى فى ظرف تحفزه إلى أن يتزعم الحركة الدينية والقومية فى البلاد ضد الأتراك ونظامهم فى الخلافة والحكم . فلم يلبث أن ألب القبائل وجمعها من حوله ، وناصب الأتراك العداء ، واستطاع سريعاً أن يدخل صنعاء بالذات وأن يستقر بها إلى حين ؛ واضطر الأتراك إلى أن ينقلوا مركز قوتهم ومعسكرهم وسلطانهم إلى قلعة مناخة فى الجبال الواقعة إلى الغرب من صنعاء . على أن الأتراك ما لبثوا أن جمعوا قواتهم وأخرجوا الامام من صنعاء ؛ فتراجع نحو الاشمال واتخذ مركزه وقاعدته بين الجبال لا سيما حول صَعْدَة فى شمال اليمن . حتى إذا ما شبت الحرب العالمية الأولى ، وشغل الأتراك بكفاحهم فى الشمال من جهة ، وانقطعت مواصلاتهم فى قلب الجزيرة وفى البحر الأحمر الذى يشرف عليه البريطانيون من جهة أخرى ، نجح الامام وأتباعه من الزيود فى أن يدخلوا صنعاء مرة أخرى فى عام ١٣٣٧ الهجرى أى فى أواخر تلك الحرب . ومنذ ذلك الحين مهدت السبيل لأن يستتب الأمر بالتدريج للامام وقواته فى المناطق الجبلية والداخلية ، حيث يسود المذهب الزيدى ؛ ثم فى المنطقة الساحلية حيث يسود المذهب الشافعى .

ومع ذلك يمكننا أن نقسم جهاد الامام الراحل فى سبيل إقامة دولة اليمن الحديثة إلى مراحل ثلاث : أولاها مرحلة الكفاح ضد الاتراك ؛ وقد بدأت بتولية الامام يحيى فى أوائل القرن الحالى ، واستمرت حتى أوائل الحرب العالمية الأولى ... وكان ختامها أن طرد الأتراك وحل الامام محلهم على رأس السلطة المدنية المركزية فى صنعاء . ولكن الشئ الطريف أن جهاد اليمن فى هذه المرحلة كان جهاداً قائما بذاته ، ومستقلا إلى حد ظاهر عن جهاد بقية الأقطار العربية ضد سلطان الأتراك ؛ وفى ذلك صورة منعكسة من

شخصية اليمن ومقوماتها الجغرافية التى أشرنا إليها . والمرحلة الثانية فى الجهاد هى التى قضاها الامام ورجاله وسعاونوه فى توحيد البلاد داخليا والقضاء على العناصر النافرة والقبائل التى اعتادت الفوضى والتى أفسدت وحدتها نظم الحكم أيام الأتراك . وقد استمرت هذه المرحلة قرابة خمسة عشر عاما ، جاءت فى أعقابها المرحلة الثالثة التى أراد فيها الامام أن يحدد مملكته ، وان ينظم علاقاته بالعالم الخارجى ، ولكن فى أضيق نطاق ممكن . وكان الامام فى هذه المرحلة ممثلا صادقا لروح اليمن الذى عاش أهله أجيالا متلاحقة خلال العهد التركى بمعزل عن العالم ، بما فى ذلك البلاد الاسلامية العربية نفسها . وكان طبيعيا مع ذلك أن يحتك الامام الراحل أول ما احتك ببريطانيا التى كانت قد وطدت أقدامها خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على سواحل بلاد العرب الجنوبية ، واتخذت عدن قاعدة لأسطولها وميناء لسفنها التى تجرى بالتجارة بينها وبين الهند وشرق إفريقية ، كما وسعت نفوذها فيما أصبح يعرف بمناطق المحميات ، وهى التى تقع إلى شمال عدن وتمتد إلى أراضى سلطنة لحج وسلطنات حضرموت . ولم يعترف جلالة الامام بنفوذ بريطانيا فى تلك المناطق أول الأمر ؛ واستمر الخلاف قائما حتى وقعت بين اليمن وبريطانيا معاهدة صداقة فى عام ١٩٣٤ ، نصت المادة الأولى منها على اعتراف بريطانيا « باستقلال جلالة ملك اليمن حضرة الامام ومملكته استقلالا كاملا مطلقاً فى جميع الأمور مهما كان نوعها » ، كما نصت المادة الثالثة على أن « يؤجل البت فى مسألة الحدود الجنوبية اليمنية إلى أن تتم مفاوضات تجرى بينهما قبل انتهاء مدة المعاهدة (٤٠ سنة) . وإلى أن تتم تلك المفاوضات يقبل الفريقان المتعاقدان الساميان أن تبقى الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود فى تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة » . وبذلك كان اعتراف بريطانيا باستقلال اليمن فى مقابل تسليم اليمن بالحالة الراهنة على الحدود بينه وبين المحميات ، ولو إلى حين . كذلك كان الامام قد عقد معاهدة مع إيطاليا جددها بعد المعاهدة البريطانية بعامين ؛ وكان قصده أن يوازن بين بريطانيا وتلك الدولة المتحفزة ذات المصالح المتكاثرة إذ ذاك فى جنوب البحر الأحمر . ولقد توثقت الصلات بعض التوثق بين اليمن وايطاليا قبل الحرب ، ونجحت ايطاليا فى أن توفد ثلاثة مندوبين من الأطباء المشتغلين بالسياسة أقاموا فى

صنعاء وتعز إلى أن جاءت الحرب وتغيرت الأمور . كذلك قام خلاف على حدود اليمن الشمالية بين اليمن والمملكة العربية السعودية بسبب إمارة عسير واستلاك واحة نجران التى تعتبر مركزا من مراكز الاتصال القديم بين اليمن وداخلية البلاد العربية وشرقها . ولقد قامت بالفعل حرب قصيرة لم تلبث لحسن الحظ ، ولما امتاز به العاهلان العربيان العظيمان من حكمة وبصيرة وتقدير صادق ، أن انتهت بمعاهدة سنة ١٩٣٤ ، اعترف فيها اليمن بدخول نجران ضمن الدولة العربية السعودية ، وتم الاتفاق على أن تبدأ الحدود اليمنية بين ميدى وجيزان على الساحل فى جنوب عسير .

هكذا انتهت دولة اليمن من تخطيط حدودها ، ولو بصفة وقتية ، فيما يختص بحدودها الجنوبية . وكان ينبغى أن تتلو هذه المراحل الثلاث من كفاح اليمن وجلالة الامام الراحل مرحلة رابعة هى مرحلة الاصلاح الداخلى ، والخروج باليمن من أعقاب القرون الوسطى ومفاسد حكم الاتراك ، إلى الحياة العاملة والنهضة التى تجارى العصر الذى نعيش فيه . ولكن جهود اليمن جاءت ضعيفة متباطئة فى هذه المرحلة الرابعة ، كما جاءت خطواته متثاقلة مترددة . وكأن الجهود الجبارة التى قام بها جلالة الامام الراحل فى عهد شبابه وعنفوانه ، لم تترك فضلا من قوته وإقدامه ليتجه نحو الاصلاح الداخلى ؛ بل كأن حذره وخوفه الشديد على استقلال البلاد من أن يمسه شئ قد جعله يكتفى من الحياة العالمية بأن يشاهد ما يجرى خارج اليمن من بعيد . ولا شك أن تجاريبه الطويلة القاسية كانت من وراء حرصه وحذره وتخوفه من مجاراة العالم والاندفاع فى التيار الدولى . ولكننا إذ نلتمس المعذرة لليمن فى حذره وتخوفه ينبغى أن نذكر ان الاستقلال لا يؤتى ثماره إلا إذا جاءت فى أعقابه نهضة تجدد الحياة بما يتسق والعصر الذى نعيش فيه . وقد انقضى العهد الذى كانت الأمم الصغيرة تستطيع فيه أن تتابع حياتها الخاصة من وراء ستر أو من خلف حجاب ؛ كما انقضى العهد الذى كانت الأمم التى لم تأخذ بنصيب من الحياة الحديثة تستطيع فيه ان تنطوى على نفسها أو أن تعيش بمعزل عن العالم . وإنما نحن الآن نعيش فى عالم تشابكت أجزاؤه وسعت فيه الأمم بعضها إلى بعض . وخير لليمن وهو مهد المدنية العريقة ، بل وهو الذى جمع فى بيئته الغنية وموقفه الجغرافى الفريد مقومات الحياة الحديثة

الناهضة ... خير له أن يخرج إلى النور، وأن يسارع الخطى ليعوض ما فات، وأن يتصل بالعالم فيتعلم عنه ما ينتقل به وبأبنائه إلى الحياة الجديدة العاملة المثمرة، وما يؤهله لأن يتبوأ مكانه اللائق به بين أخواته أمم الشرق العربي الجديد.

رعى الله اليمن! ووفق أبناءه فيما هم مقبلون عليه من جهاد لا شك طويل!

سليمان حزين